وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة بوزريعة

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي و آثارها الحضارية

(بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين

رسالة ماجستيرفي التاريخ الوسيط

من اعداد الطالب: نور الدين شعباني

اشراف الاستاذ الدكتور:موسى لقبال

لجنة المناقشة:

د.بن عميرة محمد .....رئيسا

أ.د موسى لقبال .....مقررا

د. صابر محمد الشريف .....عضوا

الصوصو لجؤوا إلى مدينة ولاته التي تبعد بـ 200 كم جنوب شرق غانة وأسسوا بدورهم سنة 622هـ/1224م مدينة ولاته التي أصبحت منذ القرن السابع للهجرة تستقطب العلماء البربر من جدالة و أصبحت بذلك تعوض أوداغست و غانة كمحطة للقوافل التجارية.[1]

2. مملكة الكانم بورنو و مملكة السنغاي :

لقد كانت غانة أقوى الممالك السودانية في أفريقيا الغربية و أولها خلال الفترة الممتدة بين القرنين 4 و6 للهجرة/10-12 للميلاد. و سيطرت على الأحداث في المنطقة خلال هذه الفترة قبل سقوطها مع هجمات المرابطين.

لكن الشيء الذي تشير إليه المصادر هو أنها لم تكن المملكة الوحيدة في المنطقة بل أن الوضع السياسي في السودان الغربي عرف وجود ممالك أخرى تمتعت باستقلالها و بدورها في تاريخ السودان. في نفس الفترة التي وجدت فيها إمبراطورية غانة، واستمر وجودها حتى بعد سقوطها. و لعل أهم هذه الممالك وأشهرها في السودان الأوسط و الغربي هي مملكتا الكانم بورنو و السنغاي.

أ- مملكة الكانم بورنو:

اختلفت المصادر العربية حول الحدود الحقيقية لمملكة الكانم، فالبكري يضع حدودها إلى ما وراء صحراء زويلة على مسافة أربعين يوما[2] دون أن يوضح إلى أين تنتهي حدودها جنوبا. بينما يشير ابن سعيد إلى امتدادها إلى غاية النيل المصري شرقا[3] و يشاطره الرأي العمري عندما يذكر بأن مملكة الكانم تبدأ من حدود مصر إلى غاية مدينة تدعى (زيلا).[4] أما

---

[1] MAUNY (R), OP.Cit, P 208.

[2] المصدر السابق، ص 29.

[3] المصدر السابق ص 94

[4] Alomari (Ibn Fadl-allah). MASALIKE –El-absar Fimamalik El Amsar, Trad : Gaudefroy – Demombynes, Paris, 1927, P 41.

ويقصد بذلك واحة زويلةالواقعة جنوب ليبيا الحالية.

الدراسات المعاصرة فتذهب إلى أنها كانت تسيطر على المنطقة التي تبدأ من تبستي الحالية[1] و منطقة كانم الواقعة شمال جمهورية التشاد و تشمل قسما من جمهورية نيجيريا الحالية.[2]

لهذا نقول أن امبرطورية الكانم يمكن أن تكون قد امتدت إلى أبعد من ذلك، حيث أن ابن سعيد الذي عاصر المملكة في أزهى أيامها واتساعها ذكر بأن بلاد فزان وودان كانتا خلال القرن السابع للهجرة/13م تابعتين لمملكة الكانم[3]، إذ يمكن أن يكون امتدادها قد وصل إلى مشارف البحر المتوسط شمالا.

إن هذا الاختلاف في تحديد أطراف المملكة يرجع إلى اختلاف المؤرخين من حيث معاصرتهم لتطورات المملكة، ومن حالات الضعف و القوة أو الفوضى و الاستقرار.

أما تاريخ تأسيس هذه المملكة، فيكتنفه شيء من الغموض لقلة ما جاء به المعاصرون لهذه الفترة، لكن الروايات الشفوية الشعبية المحلية تضع سنة 184هـ/800م تاريخ نشأة المملكة،[4] و نفس هذه الروايات تقول بأن هناك عائلة بني ساف (أو سفوة) من منطقة (بوركو) جنوب التبستي تحالفت مع قبائل التوبو السودانيين الوثنيين وأسسوا أول مملكة الكانم.[5] وهناك روايات أخرى مفادها أن مؤسسي هذه المملكة إنما هم شعب (البولالا) قبل مجيء الإسلام إلى المنطقة.[6]

و مهما يكن فإن مملكة الكانم ماهي في الاصل إلا تجمع بشري مشكل من مزيج من الشعوب البدوية علي اختلاف أنسابهم ومشربهم مادام أن المنطقة المذكورة تقع في قلب صحراء ممتدة بين صحراء ليبيا والتشاد والنوبة أو التي تشكل مسلكا لحركة البدو الرحل.[7]و

---

[1] وهي جبال صحراوية تقع على الحدود الليبية التشادية.

[2] CANALE (Jean suret). L'Afrique Noire, 3éme édit, éditions sociales, Paris, 1968,.PP 151-152.

[3] المصدر السابق، ص 95.

[4] CORNEVIN (R-M) : Op. cit, P 134

[5] Loc.Cit.

[6] ENCYCLOPEDIE of Islam LEIDEN, 1975, P 540.

[7] BABA (K) et Elika (M). Opcit, .P 46.

يكون احتكاك هؤلاء الرحل فيما بينهم هو الذي شكل الشعب الذي أسس مملكة الكانم فيما بعد، من خلال التنظيم الأسري الجيد الذي كانت تعرفة تللك القبائل.[1]

أما مملكة بورنو فإنها إمارة صغيرة وجدت غرب الكانم علي الضفاف الغربية لبحيرة التشاد.[2] و ملوكها ينسبون أنفسهم إلى سيف بن ذي يزن اليمني، وتختلط بسكانها بعض القبائل العربية.[3] و قد تأسست هذه الإمارة حوالي القرن الثالث للهجرة/9م،[4] قبل أن تتحد مع مملكة الكانم و تكون مملكة قوية في المنطقة و بذلك يبدأ تاريخ الكانم بورنو.

عرفت مملكة الكانم بورنو منذ تأسيسها تطورا سريعا وعرفت عدت ملوك متهورين أمثال (دوكو)، (فونا)، (أرسو)، (كاتور)، (أيوما) وغيرهم.[5] لكن التحول الكبيرة الذي عرفته هذه المملكة كان سنة 478هـ/1085 وهو تاريخ اعتناق عاشر ملوك الكانم الإسلام وهو الملك (هوماي).[6]

إن الإسلام كان قد وصل إلى بلاد الكانم منذ وقت مبكر، إلا أنه لم يشمل كل سكان المملكة، و بقيت العاصمة القديمة وهي (مانان) إلى وقت متأخر تعج بالكفار[7]، لكن بدخول الملك هوماي إلى الإسلام جعل بلاد الكانم بورنو تصبح قلعة من قلاع الإسلام في السودان الغربي والأوسط من خلال عمليات التوسع التي كان يقوم بها من أجل نشر الإسلام في صفوف الشعوب الوثنية خلال الفترة الممتدة من 1085م (تاريخ اعتناقه الإسلام) إلى غاية وفاته عام 1097م/491هـ.[8]

---

[1] Loccit.

[2] Loccit. و هي بحيرة تقع في السودان الأوسط، و هي الآن موجودة على الحدود بين جمهوريات التشاد و النيجر و نيجيريا.

[3] زبادية (عبد القادر) : المرجع السابق ص 24.

[4] CANNAL (Suret) : Op. Cit, P 151.

[5] Cuoq (joseph) : Op. Cit, P 236.

[6] ابن سعيد : المصدر السابق ص 95..

[7] نفس المكان.

[8] Cuoq (j) : Opcit, P 237.

لقد اخضع (هوماي) عدة شعوب وثنية لسلطته، منها مدينة (كوري) التي تسمى بحيرة التشاد باسمها[1] و مدينة (بدي) و (جاجة)، و كان ملك الكانم ينطلق من هذه المدن لغزو بلاد الكفار على جوانب بحيرة كوري، فيقطع مراكبهم و يقتل و يسبي من فيها.[2]

كما بسطت مملكة الكانم سيطرتها على مدن إسلامية كانت قد سلمت على ايدي فقهاء وملوك الكانم، مثل سلطنة (تجوة)، و مملكة (كوار) و مملكة (فزان) ومدينة (رديني). و سيطرت على الشعوب البربرية الصحراوية المتمركزة شرقي جبل (مقورس) الفاصل بين الكانم و إمارة كوكو، و الذين أسلموا على يد سلطان الكانم،يتخذهم عبيدا له و يغزو بهم و ينتفع بجمالهم.[3] وهكذا برز نجم الكانم في السودان الأوسط والغربي بفضل انجازات الملك هوماي الذي في عهده بدأت المعلومات التاريخية حول الكانم بورنو تظهر.[4] و لقد اتخذ هوماي (نجيمي) عاصمة جديدة للملكة عوض العاصمة القديمة (مانان)، وجلب إليها العلماء والفقهاء الذين كانوا يترجمون القرآن و يعلمون الفقه و نشر الأفكار السياسية الخاصة بالمغرب الإسلامي.[5]

بعد وفاة الملك هوماي عرفت مملكة الكانم بورنو ملوكا عظماء منهم (دوناما الأول) الذي خلف هوماي و حكم خمسين سنة ثم (بير بن دوناما) الذي حكم سبعا وعشرين سنة، و بعده (عبد الله بن بير) الذي حكم سبع عشرة سنة،[6] و كلهم ملوك أقوياء استطاعوا أن يوطدوا أقدام المملكة، و يحافظوا على استقرارها وازدهارها، حيث انتهجوا نظاما سياسيا يرتكز على الإقطاعية المحضة. فالملك ما هو إلا رئيس مجلس العائلة و رئيس مجلس إدارة مزرعة العائلة التي تملك مؤسسة استغلال فلاحي وبشري، كما يقوم الملك الذي يلقب بـ (ماي) أو (ماعي) بفرض ضرائب على القبائل الخاضعة، حيث تشكل مصدر قوته و

---

[1] يطلق على بحيرة التشاد إسم بحيرة كوري كذلك.

[2] ابن سعيد: المصدر السابق ص 94.

[3] ابن سعيد : المصدر السابق، ص 95.

[4] Baba (K) et Elika(M) : Op.Cit P 46.

[5] MAUNY (R) :Les Siècles obscurs de L'AFRIQUE Noire, Librairie Fayard 1970, P 181.

[6] Cuoq (J) : OP.Cit P.238.

سطوته.[1] لكن يبقي عهد الملك (عبد الجليل سيما) الذي حكم بين سنتي 562-617هـ، 1220/1195م. قمة ازدهار المملكة بلغت في عهده أوج قوتها واتساعها،[2] أما ابنه (دوناما الثاني) الذي عاصر ابن سعيد المغربي و الذي يصفه بالسلطان المشهور بالجهاد وأفعال الخير، و ينسبه إلى ذرية سيف بن ذي يزن فقد كانت الثياب تحمل له من الحضرة التونسية وأسلم على يديه كثير من البرابرة.[3]إن سياسة التوسع التي انتهجها ملوك الكانم كانت لها نتائج سلبية، حيث تسببت في انهاك اقتصادها و أكثرت من أعدائها الكفار المحيطين بها، وأثارت نقمة البربر المسلمين الذين استعبدهم ملوكها.[4]

كما انتقل الصراع على العرش إلى أحفاد الملك دوناما و بدأت المؤامرات والدسائس والفتن بين أفراد الأسرة المالكة ومناوئهم من القبائل الأخرى تعصف بالمملكة.[5]

فكان دونانما الثاني آخر الملوك الأقوياء، حيث شهد آخر القرن الثالث عشر للميلاد/7هـ بداية الانحدار والتراجع لمملكة الكانم، وبدأت شعوب (البولالا) و(الصوصو) و (التوبو) تثور ضدها. واستولى شعب البولالا على جزء من بلاد الكانم وضموها إلى مملكتهم التي تسمى ببحيرة فيتري.[6] واستمر الوضع المتعفن إلى غاية أواخر القرن التاسع للهجرة/15م، عندما وصل إلى الحكم (علي دوناما) 877هـ/1472م. وأعاد النظام للمملكة و فرض الاستقرار وأسس نواة لمملكة بورنو التي عوضت مملكة الكانم.[7] وعرفة مملكة بورنو معارك كبيرة من أجل الحفاظ على استقرارها والقضاء على الفتن و الاضطرابات التي قادها السلطان إدريس.[8]

---

[1] Baba (K) et Elika (M) : OP.Cit, P 46.

[2] زبادية (عبد القادر): المرجع السابق. ص 24.

[3] ابن سعيد: المصدر السابق: ص ص 95 و 96.

[8] Baba (K) et Elika (M) :Opcit., P 46.

[5] زبادية (عبد القادر) : المربع السابق، ص 25.

[6] CORNEVIN (R–M) : Opcit, P 171.

[7] Loccit.

8 زبادية (ع) : المرجع السابق ص 25.